

تاريخ النشر: 2019/03/01

تاريخ القبول: 2018/11/24

تاريخ ارسال المقال: 2018/11/20

اللغة ودورها في التنمية الاقتصادية

ط/د. سعد مقص. جامعة الأغواط. الجزائر

أ. أمباركة عليوات. جامعة قاصدي مرباح. ورقلة. الجزائر

الملخص:

تمثل لغة الفرد أداة تفكيره، وثمرته، ورمز كيانه وثقافته، ووسيلة بقاءه واستمراره، وتواصله وتفاعله في مجتمع يشهد ثورة علمية وتكنولوجية اجتاحت جميع مجالات الحياة، مما يؤكد على العلاقة الوطيدة القائمة بين اللغة والتنمية الاجتماعية والاقتصادية، والتي توضح أن الدول الأكثر ممارسة للغتها في التكنولوجيا والعلوم الثقافية هي المجتمعات الأكثر تحضرا والأقوى اقتصادا والأطول استقرارا.

وانطلاقا مما ذكر نحاول الوقوف عند دور اللغة في عمليات الاتصال الاستثماري والتواصل التجاري، والبحث في تمثلاته، وشواهد التاريخ، وفي تأثيراته على المعاملات الاقتصادية لإبراز دور اللغة في التنمية الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: اللغة الأم، التنمية الاقتصادية، التقانية، التعاملات التجارية.

Summary:

The language of an individual is an instrument of reflection, its fruit, the symbol of its entity and culture, its means of survival and continuity, its communication and interaction in a society that is witnessing a scientific and technological revolution that has swept across all spheres of life, underlining the close relationship between language and social and economic development, which makes it clear that States The most practiced language in technology and cultural sciences are the most urbanized, most economical and the longest stable societies.

In doing so, we are trying to look at the role of language in the processes of investment communication and business communication, research into its implications, historical evidence, and its effects on economic transactions to highlight the role of language in economic development.

Keywords: mother tongue, economic development, economics, business dealings.

مقدمة :

تعتبر اللغة سمة إنسانية، وتمثيل للهوية الوطنية، وانعكاس للانتماء والتوجه إلى جماعة بعينها، وعامل بناء في مختلف الحضارات والثقافات، لاعتبار ما توظف فيه من تواصل واحتكاك بين الأفراد و الدول في مختلف مجالات أنماط الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

غير أن اللغة تتجاوز وظيفتها كونها أداة تواصل اجتماعية، وتعبيرا بيولوجيا إلى لغة لا تنقل العالم بحرفيته بحسب، بل تساهم في إعادة صياغة الحياة وتشكيلها، وتعمل على الرقي والتطور من خلال ما تنشره من العلوم و التكنولوجيات والمعلوماتية، ومن ثم تمتلك اللغة القدرة على تنمية حياة الفرد بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، غير أن التنمية الاقتصادية تنعكس على الكل لتؤثر سلبا أ إيجابا على الفرد والأمة ، لذلك نحاول النظر في الدور الذي تلعبه اللغة في التنمية الاقتصادية من خلال إيجاد أجوبة نظرية لجملة من الاستفهامات منها :

- هل يمكن اعتبار اللغة ظاهرة اقتصادية؟
 - وما هي الشواهد التاريخية التي تثبت جدلية هذه العلاقة؟
 - هل يمكن اعتبار اللغة كرصيد من النقود ؟
 - لأي مدى يمكن أن تأثر التقانية بلغة الأم في اقتصاديات الدول ، وما دور الترجمة في ذلك؟
- والتي سيتم بموجبها عقد مقارنات بين النظام اللغوي والنظام الاقتصادي، من خلال استنطاق أهم الشواهد التاريخية التي أكدت على وجود هذه العلاقة ، وكشف أدوارها من خلال ديناميكيات توسيع الأسواق ونطاقات اللغات لمعرفة التأثير والتأثر .

1. اللغة (Language) :

شكّلت اللغة للإنسان منذ الأزل الوسيلة التي يتم بها التّخاطب، والتّواصل، وتبادل الأفكار، والأحاسيس، فكانت الأداة التي لا يستغنى الإنسان عنها البتة. فما من إنسان يمتلك اللّغة إلّا وتكون له القدرة على التّعامل مع العالم الخارجي، على نحو يجعله يحقق غاياته، وأغراضه.

1. 1. مفهوم اللغة (Language concept) :

غير أن للغة تعريفات كثيرة باعتباريات متعددة يعرفها أبو الفتح بن جني بقوله: "أما حدّها فإنّها أصواتٌ يعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم"⁽¹⁾.

ويراها دي سوسير "نتاج اجتماعي ملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي تبنّاها مجتمع ما؛ ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة."⁽²⁾

بينما يذهب الدكتور إبراهيم أنيس لاعتبارها " :نظام عربي لرموز صوتية يستغلها الناس في الاتصال بعضهم ببعض." (3)

فهذا يمثل قِمة التأثير والتأثير الاجتماعي حين يربط اللغة بالوظيفة، كونها تتحدد من خلال بعدها الوظيفي بين الأفراد والمتكلمين على السواء، من خلال تبادل الأغراض والحاجات بواسطة اللغة، كما أنها ممارسة ودراسة، فالممارسة وظيفة المتكلم، بما يتفاعل مع مجتمعه، شريطة مراعاة قواعدها التي يفرضها المجتمع على كل حال. فهي إذن وسيلة لا غنى عنها للتواصل والتعايش داخل المجموعة، كما أنها عامل أساسي للاحتكاك والتفاعل بين المجموعات.

1. 2. خصائص اللغة (Language characteristics):

1. 2. 1. الخاصية الصوتية (Acoustic property): نلاحظ أنهم عرّفوا اللغة بأهم وأرقى مظاهرها، وهي الأصوات، فقد ارتبط الإنسان "بهذه الأصوات ارتباطاً وثيقاً على مرّ العصور، حتى أصبح الآن غير قادر على التفكير أو التعبير عن خواطره إلاّ عن طريقها، مما جعل كثيراً من الفلاسفة يقرّرون أنه لا سبيل إلى التفكير بغير هذه الأصوات ممثلة في كلمات وجمل؛ فإذا قيل لنا: إن الإنسان حيوان ناطق، فمعناه أنه قادر على التفكير؛ لأنه قادر على النطق." (4)

1. 2. 2. الخاصية التعبيرية (Expressive Property): وظيفة اللغة الأهم هي التعبير؛ فبها يعبر الإنسان عما يدور في خلدّه، وما يحتاجه من غيره في معاشه، ولقد كان الإمام ابن جني الأكثر توفيقاً في قوله: (يعبر)، فلم يحصر وظيفة اللغة في توصيل الأفكار كما رأى البعض؛ ذلك أن هناك أشكالا للغة لا يقصد صاحبها بها توصيل فكرة معيّنة، وإنما تعبير عن حاجاتهم ومتطلباتهم الحياتية. (5)

1. 2. 3. الخاصية الاجتماعية (Social property): لقد عبر العلماء عن اجتماعية اللغة بقولهم: "إن اللغة لا تنشأ إلا في مجتمع"، و"إن اللغة لا تستعمل إلا في مجتمع"، و"إن الكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد" (6)، يمكن لشعبين ينشئان في نفس المنطقة الجغرافية، في وقت واحد، أن يختلف كلامهما، وذلك بحسب المستويات الثقافية لأفراد المجتمع، والذي ينعكس طرديا على مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

2. التنمية الاقتصادية (Economic development):

تمثل التنمية الاقتصادية بوجه عام العملية التي يحدث من خلالها تغير شامل ومتواصل مصحوب بزيادة في متوسط الدخل الفردي، وتحسين مجالات الحياة، مع زيادة التراكم الرأسمالي وارتفاع نسبة مستويات الكفاءة العلمية

والتقنية، كما أنها جزء من الكل لا يمكن أن تتم إلا من خلال بيئة سياسية واجتماعية وثقافية ملائمة، معدة لدعمها وتأييدها تنصهر كلها. ⁽⁷⁾

2.1 مفهوم التنمية الاقتصادية: (The concept of economic development): هي عبارة عن أحد المقاييس الاقتصادية المعتمدة على التكنولوجيا، للانتقال من حالة اقتصادية إلى أخرى جديدة؛ بهدف تحسينها، مثل: الانتقال من حالة الاقتصاد الزراعي إلى الصناعي؛ أو الانتقال من الاقتصاد التجاري إلى التجاري المعتمد على التكنولوجيا ⁽⁸⁾، كما تُقدم للمجتمع عن طريق استنباط أساليب إنتاجية جديدة أفضل ورفع مستويات الإنتاج من خلال إنماء المهارات والطاقات البشرية وخلق تنظيمات أفضل. ⁽⁹⁾

وبصفة عامة هي العملية التي من خلالها نحاول زيادة متوسط نصيب الفرد من إجمال الناتج القومي خلال فترة زمنية محددة وذلك من خلال رفع متوسط إنتاجية الفرد واستخدام الموارد المتاحة لزيادة الإنتاج خلال تلك الفترة. ⁽¹⁰⁾

2.2 خصائص التنمية الاقتصادية (Characteristics of economic development):

تتميز التنمية الاقتصادية بمجموعة من الخصائص: ⁽¹¹⁾

1. لاهتمام بتحقيق الأهداف التنموية المعتمدة على وجود استراتيجيات عمل مناسبة، تهدف للوصول إلى معدل النمو الاقتصادي المطلوب.
2. التوجّه نحو تحسين البيئة الداخلية للمجتمع، والقطاع الاقتصادي المحلي الخاص بالدولة، وتطويرهما.
3. الاعتماد على الجهود الاقتصادية الذاتية؛ لتحقيق التنمية الاقتصادية المعززة لتطبيق التخطيط في الحكومات، والمؤسسات الاقتصادية المهتمة بمتابعة النمو الاقتصادي باستمرار.
4. الحرص على استغلال الموارد والإمكانات المعززة لدور الصناعة، والزراعة، والتجارة المحلية، حسب ما يطلبه الواقع الاقتصادي من استخدام الوسائل والأدوات التي تتيح نخوض أنواع الأعمال كافة.
5. الاستفادة من التكنولوجيا: فهي تقدّم دعماً مناسباً للتنمية الاقتصادية، عن طريق الاستثمار في الإمكانات، والطاقات العلمية والمعرفية المتنوعة، مما يساهم في تطوير العديد من المجالات، ومن أهمّها: الأبحاث، والتعليم . ووقفاً عند الخاصية الأخيرة تتجلى لنا العلاقة القائمة بين اللغة والاقتصاد.

3. الشواهد والتمثيلات التاريخية (Historical evidence and representation):

يؤكد التاريخ عبر محطات مختلفة على العلاقة التلازمية بين اللغة والتنمية في جميع أوجهها، فاهتمام أفراد المجتمع الواحد بلغتهم وبقواعدها وعلومها وآدابها وضوابطها، والعمل على مسايرة التطور التكنولوجي والتمسك بها، وتوظيفها في جميع مجالات العلوم يفتح المجال إلى ازدهار المجتمع وتبوء الصدارة بين الدول العظمى.

ومن ثم تمتلك اللغة مفاتيح استثمار المعرفة العلمية في مجال إعداد البرمجيات، والبرامج الإلكترونية، والبرامج التعليمية، ومعالجة النصوص والترجمة والذكاء الاصطناعي وغيرها من مجالات استثمار المعرفة العلمية لتمثل اللغة عملة بوجهيها الأول يتواصل بمهاراته اللغوية في شكلها الطبيعي المطلوب بين الأفراد للتعبير عن المشاعر والعواطف والأفكار وقضاء الحوائج وتحقيق متطلبات التواصل مع الغير.

والوجه الثاني بمهاراته اللغوية التي يستدعيها التعامل التجاري الربحي يتطلبها واقع العولمة بما فيها من نمو متسارع للمعرفة والتكنولوجيا.

3.1. الشاهد العربي (Arab Witness):

لعل من أوضح التمثيلات والشواهد التاريخية التي تعكس هذه العلاقة ما حدث مع العربية، حيث أطلق عليها (بنت سوق) استعارة لنشأتها وترعرعها بين أحضان التجارة من خلال التعاملات التجارية التي كانت تجري سواء بين القبائل في أرجاء الجزيرة العربية بعضها والبعض، أو عن طريق احتكاكهم بالشعوب المجاورة لهم في قوافل رحلاتهم التجارية الموسمية، ومنها رحلتا الشتاء والصيف.⁽¹²⁾

إضافة إلى انتشار الأسواق التي يعقدونها لطرح القضايا الأدبية والنقدية مرافقة مع أسواق التجارة والبيع كسوق عكاظ وصحار وحجر... الخ⁽¹³⁾

وبهذا مارست الأسواق وظيفة ازدواجية جمعت بين اللغة في منصات النقد والفصاحة والبلاغة من جهة والمنافسات على ترويض و تباع البضائع والسلع، وانعكاس النشاط التجاري والاقتصادي من جهة أخرى.

ضف إلى ذلك أن تلك العناية التي عرفتها اللغة قد تضاعفت بعد مجيء الإسلام و نزول القرآن الكريم انطلاقاً من وعي علماء اللغة والنحو بقيمتها حيث جمعت الفصحى، ودرست جوانبها الصوتية والصرفية والدلالية، وأقيمت لها المدونات والمعاجم في شتى الموضوعات، ونُقلت بالترجمة إليها علوم اليونان والحضارات الأعجمية التي دخلت الإسلام، فوظفت اللغة في الحكم السياسة والمراسلات والقضاء والمعاملات التجارية والاقتصاد والثقافة والعلوم، فازدهرت وازدهر معها العرب في جميع مناحي الحياة وخاصة الاقتصادية، فحكموا العالم لعصور من الزمن.

3.2. الشاهد الأمريكي: (American Witness)

أدرك الغربيون أن عليهم مواكبة العصرنة وفرض مكانتهم في المقدمة، فأولوا اهتماماً خاصاً للغتهم، وعملوا على التمسك بها وتطويرها وزجها في جميع مجالات الحياة، وحاولوا البحث في تأثيرها في الجانب التجاري والاستثماري، فأجريت لها مقارنات ودراسات.

وكان الاقتصاد من أهم مجالات توظيف اللغة من خلال زيادة القيمة السوقية للغة، وربطها بالمعاملات التجارية والاستثمارية في سوق العمل.

فقد سيطرت اللغة الإنجليزية على عرش اللغات الأكثر مبيعاً في العالم نظراً لقيمتها الاستعمالية الكبيرة في السوق العالمية، وسيطرتها على وسائل وبرمجيات التقنية الحديثة.

وبالنظر إلى القوة الاقتصادية والتكنولوجية التي تعرفها اليوم الولايات المتحدة الأمريكية فمرجعه إلى اهتمامها باللغة الإنجليزية، حيث ترجع بذور هذه الهيمنة إلى المنافسة التجارية التي جرت في صناعة المعاجم اللغوية النموذج البريطاني ورائده دورستر والنموذج الأمريكي ورائده وسيتز، حيث انتصر فيه الأمريكي، وأعلن بقوله: إنه بوصفنا أمة مستقلة فإن كرامتنا تدعونا لأن يكون نظامنا خاص في اللغة والحكومة أيضاً، وقدم مذهباً سياسياً للديمقراطية اللغوية، لم يقصد به فقط الاعتراض على سيطرة اللغة الإنجليزية المدرسية بل قصد به أيضاً ترسيخ اللهجة الإنجليزية الأمريكية بوصفها اللغة القائدة للمستقبل، فأسفرت هذه النظرة وهذه الدعوة بتمثل هذا المعجم اللغوي إلى استقلال الجمهورية الفنية أمريكا، والحفاظ على هويتها من التأثير اللامحدود ببريطانيا العظمى. (14)

في حين نجد اللغة الصينية مثلاً على الرغم من أنها لغة جماعة لغوية ضخمة ذات تراث ثقافي عميق، ولغة بلد ذي أهمية كبيرة في عالم اليوم، ليست تُحظى بطلب كبير عليها على مستوى العالم بوصفها لغة أجنبية، لأن إمكان استغلالها الاقتصادي إمكان محدود، أما اللغة اليابانية في المقابل فقد ارتفعت قيمتها في السوق العالمية للغات الأجنبية خلال العقد الماضي، صاحبه ارتفاع لئين في سوق العملات، حيث أن اليابان قد أصبحت شريكاً تجارياً مهماً لبلاد كثيرة على مستوى كل القارات. (15)

3.3 الاستعمار واللغة (Colonialism and language):

إن استنطاق تاريخ الاستعمار الأوربي عن أحداثه ومشكلاته، يبرز في شقه الاقتصادي مشكلتي النقود واللغة، والتي كانت من أولى المشكلات التي واجهت المستعمرين الأوربيين الأوائل في محاولاتهم إقامة علاقات تجارية فيما وراء المحيطات حيث أجبروا على المقايضة، والتي صعبت بسبب عدم التفاهم على المعدل الموضوعي للقيمة من جهة، وغياب لغة مشتركة من جهة أخرى، وقد ضيق ذلك قناة الاتصال، وعرقل التجارة، مما حدد مجال التعاملات التجارية فيما يتماشى مع الحاجة الاتصالية لهؤلاء التجار.

غير أن الاستعمار الأوربي كان مُستحوذاً على العلاقات الاقتصادية، مما انتقص من أنصبة التبادل التجاري المحلي، حيث كانت العلاقة التجارية وحيدة الجانب إذ أدخل الأوربيون لغاتهم بجملتها، في حين لم يأخذوا من شركائهم التجاريين المحليين إلا كلمات قليلة، وهي الكلمات الدالة على البضائع والمعاملات التجارية تطبيقاً لمبدأ التفكير التجاري عند يوهان يواشيم تبشر.

إن بيع البضائع للآخرين أفضل دائماً من شرائها منهم، لأنَّ البيع يجلب منفعة محققة، بينما يؤدي الشراء إلى خسارة حتمية، وقد أدّى هذا المبدأ إلى منفعة اقتصادية دائمة للقوى الاستعمارية، لأنها بهذه الوسيلة قد فتحت لها الطريق بسهولة إلى أسواق ما وراء البحار التي مازالت تتمتع بها حتى اليوم.⁽¹⁶⁾

ونُحِيلنا هذا الحديث إلى فكرة التعدد اللغوي التي يتركها الاستعمار في مستعمراته، والتي تؤدي إلى تراجع الحركة الاقتصادية، وتضعف من الميزان التجاري.

فقد دلت الدراسات على أن متوسط دخل الفرد يتدنّى في البلاد التي تتعدد فيها اللغات مقارنة مع البلاد التي يقل فيها هذا التعدد، إذ يكفي ملاحظة عدة بلدان كبريطانيا أين يزيد معدل دخل الفرد عشرات المرات عن الفلبين، ذلك بالرغم من تقارب عدد السكان بسبب تعدد اللغات في الفلبين، ولذلك يكتب العلماء: إن البلاد المجزأة لغوياً بشكل كبير بلاد فقيرة دائماً.

كما أن الصراعات اللغوية اليوم تتوازي وتتقابل بشدة مع ترتيبات وصراعات العملات فالمواجهة بين الدولار والأورو والين هي الوجه الآخر لصراعات لغات، ثقافات وحضارات أوربا، أمريكا واليابان.⁽¹⁷⁾

4. أفكار ونظريات في اقتصادية اللغة (Ideas and theories in language economics):

4. 1. منفعة اللغة (Language benefit):

تطرق فلوريان إلى فكرة نفعية اللغة، فكلما زاد عدد هؤلاء الذين يمكن أن أتفاعل معهم عن طريق لغة ما زاد نفعها لي بالمعنى الفعلي.

وذكر أن هذه النفعية أساسها تفاوت في اللغة، والذي يُمثل انعكاساً للأوضاع الاقتصادية، فالاقتصاد الهولندي يعتمد على ألمانيا أكثر مما يعتمد الاقتصاد الألماني على هولندا، وتفسير ذلك أن الألمان يعتمدون على لغتهم الأم أكثر مما يعتمد الهولنديون على لغتهم الأم.⁽¹⁸⁾

ويُشير أن عدداً قليلاً جداً من لغات العالم هو المناسب بشكل مُطلق لتبادل الأفكار العلمية، وهو هنا يُشير إلى القوى العظمى في التكنولوجيا والعلوم، حيث أوضح أن ما يعزز القيمة الاقتصادية للغة هو العلماء والتكنولوجيات والإدارة والقانون والمجالات الأخرى للاتصال لذا تصبح بمثابة واسطة أو أداء إنتاج.⁽¹⁹⁾

واستدل على ذلك بالقيمة الاستعمارية للغة في سوق العمل بمدن غرب أفريقيا مثل داكارا ومباراد وهو حكين، التي يصعب بها تنظيم العمالة الأفارقة غير المهرة تزداد بسبب أميتهم، وتعدد اللغوي بالمدن الصناعية، وهذا يعني إقصاء وإهمال للغة الأم.⁽²⁰⁾

4. 2. اللغة والنقود (Language and Money):

يرى علماء الاقتصاد أن اللغة بقيمتها التبادلية والتواصلية تماثل رصيذاً من النقود، حيث ذهب ليبنتز وبعده (دافيد هيوم) و(يوهان جورج هامان) وغيرهم من الكثيرين الذين توصلوا إلى أن اللغة ليست قيمة في حد ذاتها، وإنما تنطوي على القيمة، هذه الأخيرة التي تكون اقتصادية بالأساس، والتي من الممكن أن تضيف قيمة مضافة كبيرة على الاقتصاد القومي. (21)

ومن ثم تصبح اللغة أداة . مثل النقود . تنطوي على تسهيل تلبية خيارات الأفراد، وتوسيع مجال الفعل لديهم، فإن كانت النقود وسيطا للتبادل، فإن اللغة تسهل التبادل، وبالتالي تضيف اللغة قيمة اقتصادية إلى حائزها مما يجعلها تحتاج إلى وضع معايير لتحديدتها.

4. 3. اللغة الأم والتنمية (Mother tongue and development):

يؤكد العلماء والباحثين على العلاقة بين التنمية واللغة الأم، وذلك لاعتبارين: الأول: كون اللغة الأم هي المحرك الأساس لكل إبداع وابتكار، وإن التاريخ بأحداثه لم يشهد ولا نهضة قامت بعيدة عن اللغة الأم.

أما الاعتبار الثاني فيتمثل في مفهوم التنمية المعاصرة التي ترتبط بتكوين مجتمع المعرفة، وذلك أن اللغة الأم تلعب دوراً حاسماً في تشكيل هذا المجتمع الذي يؤدي حتماً إلى تنمية شاملة.

ذلك ما نقله فوريان كولماس عن بعض الفلاسفة والمفكرين حيث يقول: "إن غاندي على الرغم من أنه عزا أهمية عظيمة لمسألة اللغة القومية لأنها رمز سياسي قبل كل شيء، فقد أشار مراراً إلى الجوانب الاقتصادية لهذه القضية، حيث أعلن سنة 1920 أن الأمة قد عانت معاناة شديدة بسبب إجراءات سير العمل في الكونغرس التي تدار بشكل كامل باللغة الانجليزية، وقبل الاستقلال بسنوات قليلة كان غاندي أكثر تحديداً بقوله: "علينا أن نفكر في الوقت والجهد اللذين بذلتهما شبابنا في تعلم اللغة الانجليزية، كما لو كانت لغة أم لنا، وأن نحسب بعملية حسابية بسيطة عدد السنوات ومقدار الجهد الثمين الذين يضيعان على الأمة. (22)

وفي الفكرة ذاتها يصرح اللساني عبد السلام المسدي على جدلية هذه العلاقة بقوله: "اللغة هي الحامل الضروري المحايث لكل انجاز تنموي، فكل من التعليم والبحث والإنتاج ركن أساسي في كل مشروع اقتصادي، ثم متى يسلم أصحاب الأمر أن السيادة السياسية مستحيلة بدون سيادة ثقافية لغوية، وأن امتلاك لغة الآخر ليس له اعتبار تقديري في السياسة والاقتصاد والثقافة، إلا إذا استند إلى مرجعية لغوية قومية تعين الأنا على أن يقف نداً للآخر، ولكننا في كل ما هو باد على السطح الدولي أمة بلا مشروع لغوي. (23)

إذا الواقع في تجاربه التنموية يقر على ضرورة توظيف اللغة الأم في التنمية الاقتصادية.

4.4 النظريات (Theories):

لقد تناول الاقتصاديون العلاقة القائمة بين تقدم القدرات العلمية والتكنولوجية للدولة من جهة، وبين التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها من جهة أخرى، غير أنهم اختلفوا بالنظر إلى اللغة الموظفة في الإنتاج والاستهلاك والتبادل، فذهب بعضهم إلى تنوع اللغات هو الذي يقود إلى هذا التقدم، وذهب فريق آخر التعدد اللغوي هو إضافة سلبية تلعب فيها الترجمة الدور الرئيسي، ومن هنا تتلخص توجهات علماء الاقتصاد في ثلاث نظريات:

1 نموذج التجارة: (Trade mod) وتصبح اللغة سلعة معنوية تصدر وتستورد مع السلع الحقيقية، وذلك أن التجارة بين دولتين تستلزم أن يتعلم البلد المستورد للسلع لغة المستورد له ويدفع مقابل ذلك ثمن تعلمه، ويكون هنا الربح للبلد الذي تمكن من نشر بضاعته، وبالتالي نشر لغته، فالربح هنا مضاعف، وتتضاعف الخسارة للطرف الآخر الذي هو دائما في حالة استيراد. (24)

2 نموذج الرأسمال البشري أو ما يسمى نظرية النمو الجديدة (Human capital): وترى هذه النظرية أن هناك تناسب بين معدل النمو الاقتصادي، ومعدل النمو التكنولوجي، أي المستوى المعرفي للقوى العاملة أو الرأسمال البشري مما يميز اليوم بين المجتمعات بفروقات مستوى المعرفة، وليس بفروقات الدخل، اعتباراً أن الترجمة للعلوم والتكنولوجيات بلغة الأم هو استثمار في رأس المال البشري، ومن ثم يتحقق الازدهار الاقتصادي.

3 نموذج عوائد التشبيك (الانتشار) (Network externalities): وفيه تعلم الفرد اللغة العلمية والتكنولوجية ازدياد في عدد الأفراد الذين يعرفونها ويعود بفائدة على المجتمع، ويشبه ذلك بشبكة الاتصالات والانترنت، حيث كلما زاد عدد المشتركين زادت نسبة الاستفادة لدى الجميع. (25)

5. الترجمة والتنمية الاقتصادية (Translation and economic development):

إن الترجمة من الناحية الاقتصادية هي التنمية في أبهى تجلياتها، فهي الحاضن لها في الإنتاج وفي التبادل الاقتصادي، وقدرة الدولة على الترجمة تعكس قدرتها على التفوق الاقتصادي.

فالترجمة ليست مجرد نقل كلمة أو مقولة من لغة إلى أخرى، بل هي بالدرجة الأولى فعل ثقافة حية قادرة على تحويل موارد المجتمع إلى قوة محركة للطاقت الإبداعية فيه، فهي تتحول إلى فعل حضاري ودينامية قوية لتغيير المجتمع بعد أن أصبح العالم كله قرية ثقافية واحدة في عصر العولمة، والتفاعل اليومي والمباشر بين مختلف أشكال الثقافات واللغات. (26)

كما أنها لا تستقي أهميتها من كونها تأتي بمصطلحات جديدة في شتى حقول العلم والمعرفة، بل من كونها ناقلة للمفاهيم عن طريق شرح دلالاتها تلك المصطلحات وإدراج مدلولاتها في المنظومة الفكرية، فاستيعاب

مصطلحات وتراكيب اصطلاحية جديدة وإيجاد مقابلات للغة الأم يؤدي إلى ممارسات جديدة، وتحديد الواقع الفكري بما ينهض بالحاضر ويؤسس للمستقبل، ومن ثم تصير الترجمة "موقف معرفي في نطاق ما يسمى الترجمة التأصيلية التي تستوعب ما هو مترجم وتبناه وتهضمه، فيصبح جزءا من هيكلها المعرفي".⁽²⁷⁾

وتبقى الترجمة من الناحية العلمية هي التقدم والنهضة العلمية، ولهذا تتسابق الدول التي تريد لنفسها أن تتطور بترجمة كل ما ينشر في المحافل الدولية من منتجات تعود لها بالنفع، من خلال استثمارها في مشاريع تنمية ولهذا طورت مراكز تعلم اللغات الناقلة للعلوم كالإنجليزية بالدرجة الأولى التي أصبح ضرورة لأي تنمية أو تقدم علمي، فأغلب الكتابات الحديثة العالمية تكتب بها، وأصبحت اللغات الحية الأخرى بمثابة اللغات الهدف التي يعمل أصحابها دائما من أجل تبينة المفاهيم العلمية التي تتقاطر يوميا في التداول العلمي العالمي باللغة الإنجليزية في كثير من الدول، فغدت الكلمة سلعة تباع وتشترى، مما جعل الترجمة تكسب أهمية أكثر من ذي قبل أمام السرعة التي أصبح يسير عليها العالم مع هذا التقدم العلمي في المعلومات وفي الصناعات المتطورة، فلا مجال فيه للالتفات للوراء، بل لابد من مجازاة الركب بالسرعة المطلوبة.⁽²⁸⁾

فأغلب الدول العربية ليست لها مؤسسات حاضنة لهذا الفعل القومي الترجمي إذا استثنينا بعض الاجتهادات كمعهد تنسيق التعريب بالرباط والبادرة الكويتية، بل إن الترجمة القليلة فيها هي محصلة اجتهادات فردية من قبل مثقفين آلوا على أنفسهم تحمل عبئها الثقيل ماديا ومعنويا، وبالرغم من ذلك لا تجد هذه الترجمات القليلة بغثها وسمينها محالا رحبا للقراءة والإقراء.

إن غياب سياسة ترجمة عربية وأقفا للتقدم هو ما يجعلنا في ردهات الدول ويكرس التبعية والاستهلاكية والنكوص، فالدول العربية للأسف لها من الأطر والكفاءات ما تنوء به العصبية، ولها من الموارد المالية الكثير، لكن مع انعدام الرغبة في التطور والتحلي بالمسؤولية، والخضوع للآخر وإتباعه حذو النعل بالنعل، هو أساس التخلف.

5. 1. التجربة اليابانية في الترجمة (Japanese translation Experience):

تمثل التجربة اليابانية خير مثال ناجح يعكس تأثير اللغة الأم في التنمية الاقتصادية، ويبرز فعالية الترجمة في نقل التقانية للقوى العاملة بلغة الأم، حيث أولت اليابان اهتماما خاصا بالترجمة منذ بداية النهضة، وذلك بتمويل مشاريع الترجمة ودفع نفقات المترجمين، وتنشيط مؤسسات الترجمة، حيث مست كل النواحي الثقافية والتكنولوجية والمطابع والنشر، والعلوم، وأشرفت الوزارة على إعداد ميزانية خاصة لتشجيع ترجمة التراث الياباني إلى اللغات العالمية وشهد عهد الميجي استيراد واستيعاب التكنولوجيا، بداية بقطاع الصناعة، حيث بدأ النهضة بتطوير الصناعة الصوفية والقطنية من خلال استيراد الأسس العلمية من الغرب واعتمدت لنقل التكنولوجيا الغربية

البعثات يتم إرسالها لتلقي التقنية، ومن ثم نقلها إلى اليابان ونشرها بين الأوساط القوي العاملة بلغتهم الوطنية وخصصت مبلغ 198 مليون ين للمساهمة في ترجمة ونشر الآداب اليابانية إلى لغات العالم. (29)

5. 2. أثار التقانية بغير اللغة الأم (Non-native-language effects):

إن الكثير من التجارب التطبيقية تؤكد على أن الممارسة التقانية بغير لغة الأم من أحد أسباب الإخفاق الاقتصادي إن لم نقل أهمها، ومن ذلك ما وقف عليه الدكتور محمود السمرة عند تدريسه، حيث لاحظ أن نتائج امتحانات طلبة السنة أولى الذين درسوا كتاب البيولوجيا بالإنجليزية 26% ، بالمقابل تنخفض نسبة الطلبة الذين درسوا باللغة العربية إلى 4% (30).

كما أجريت تجربة في الجامعة الأمريكية ببيروت في أواسط الستينات على مجموعتين من الطلاب ، تلقت إحداها دروسا في علم من العلوم باللغة الانجليزية ، والأخرى باللغة العربية، ثم أعطيت المجموعتان اختبارا في تلك المادة نفسها، فوجد أن المجموعة استوعبت 60 % من المادة المدروسة، في حين أن المجموعة الثانية استوعبت 76 % من المادة نفسها، وأعيدت التجربة في القراءة، فطلب من المجموعتين قراءة نصوص مكتوبة في تلك المادة ، ثم اختبرت المجموعتان لمعرفة استيعاب المقروء، فكانت النتيجة مقارنة لنتيجة التجربة الأولى. (31)

وذلك لأثاره على التنمية الاقتصادية ومنها : (32)

- حصر المعرفة العلمية والتكنولوجية لدى نخبة من أفراد الأمة، وعدم وصولها إلى المجتمع، والقوة العاملة العريضة، ومن ثم ضعف المعرفة عند القوى العاملة.
- هجرة العقول التي تؤدي إلى خسارة رأس المال البشري، فهناك أكثر من مليون عالم وتقني عربي مهاجر حاليا .
- إضعاف نشر القطاعات الاقتصادية الكثيفة اللغة، ومنها النشر الذي يعد من القطاعات الاقتصادية الكبرى، فضعف النظام المعرفي للقوى العاملة يضعف الطلب على النشر.
- إضعاف مستوى التحصيل العلمي للطلاب، لأنه يدرس بغير لغته.
- إضعاف الطلب على الترجمة العلمية والتكنولوجية، مما يؤدي إلى الغياب الكلي للقوى العاملة فيما تشهده الدول من تقانية متطورة.

لذلك وجب مواكبة العصرنة، وتتبع الجديد فيما يخص التكنولوجيا، والعمل على نقل كل ذلك بلغة الأم.

6. اللغة والعائد الاقتصادي (Language and economic return):

تعد اللغة مشروع استثماري له عائد اقتصادي، حيث تؤكد الدراسات أن إتقان لغة العلم والتكنولوجيا بلغة الأم له عائد اقتصادي أقوى من إتقان اللغة الأجنبية لصعوبة تعميمها على كل النشاطات الاقتصادية. (33)

ومن ثم فإن تعليم العلوم والتكنولوجيا بلغة القوى العاملة (اللغة الوطنية) أصبحت مسألة أساسية وجوهرية ولها دور فعال في النمو الاقتصادي، وفي تحوله من اقتصاد الريح والتواكل إلى الاقتصاد التنافسي المستدام المرتكز على العلوم والتكنولوجيا الحديثة، وهذا ما يبدو أن المواقف السياسية بدأت تتجه إليه، حيث نلاحظ وعياً بهذه الاستراتيجية المعلوماتية التي يستلزم النظر فيها والبدء في تطبيق مخططاتها.

وقد تنبه الكثير من المسؤولين العرب إلى أهمية هذه العلاقة، حيث أشار عضو مجمع اللغة العربية ونائب رئيسه الدكتور محمود السيد إلى أهمية اللغة وقيمتها الاقتصادية، وأهمية الوقوف على مجالات الاستثمار في اللغة من جهة أخرى.

وذكر السيد أن اللغة حامل للموروث الثقافي للمجتمع، وعاملاً عن عوامل التنمية الاقتصادية في المحيطين الاجتماعي المحلي والمحيط الدولي كليهما، والتنمية الاقتصادية لا يمكن أن تحدث مستقلة عن التغييرات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

وهذا يترك آثاره على اللغة ليس بوصفها رصيذاً ثقافياً فحسب، بل بوصفها واقعاً اجتماعياً ذا منافع اقتصادية وسياسية أيضاً في المجتمع الحديث مجتمع المعرفة.

ثم أضاف مؤكداً أن عملية التنمية في المجتمع لا تجري إلا بالتنمية البشرية المستدامة التي لا تتحقق إلا بالاستثمار الصحيح للإنسان، وخاصة معرفته العلمية ولغته العلمية والثقافية، والتي تنعكس خصباً ونماءً في دروب التنمية وفي جميع المجالات... إنها ثروة قومية حقيقية ذات عوائد اقتصادية كبيرة في مجتمع المعرفة.

وفي نفس السياق يشير رئيس المجلس الاقتصادي والاجتماعي الدكتور جواد العنابي في ندوة في البيرق الأردني للدراسات والمعلومات، أن اللغة والاقتصاد مترابطان ومتلزمان خاصة في مجال السوق، فيقول: "إن العلاقة بين اللغة والاقتصاد عضوية طردية، إذ ازدهر أحدهما ازدهر الآخر، فاللغة مرآة لصورة أمتها، ومقياس لمكانتها بين الأمم.

ويؤكد على أن اللغة هي القاسم المشترك للتجارة والاتصال، وهي عنصر من عناصر الازدهار الاقتصادي. وختم كلامه أن العرب لو استمروا في اندفاعهم الحضاري، وفي نهضتهم العلمية، كانوا قد وصلوا إلى الكثير من المخترعات الحديثة، خاصة في علم الحاسوب، وذلك أن العرب أبدعوا في تصنيف المعلومات وحفظها، كما أبدعوا اختراع الكثير من الآلات الدقيقة، ويومها كانت لغتهم لغة العلم والاقتصاد على مستوى العالم.⁽³⁴⁾

ويبدو أن الاقتصاديين وأصحاب القرار قد أدركوا حقيقة العلاقة بين اللغة والاقتصاد، حيث أوضحوا أنها أداة لعملية التنمية الاقتصادية إذا استعملت بمردود جيد وكفاية عالية أساساً، وأنها صناعة وسلعة في القطاع الاقتصادي إذ تزايد دور الصناعات الثقافية، وقاعدتها اللغة الأم.

الخلاصة:

ومما سبق يتضح أن اللغة بالنسبة لاقتصاد السوق مسألة محورية، وتنشأ أهميتها الكبيرة من كون النشاط الاقتصادي يعتمد على الاتصال بدرجة كبيرة، وأن العناصر الأساسية للاتصال الاقتصادي عناصر لغوية، ومنه لن يستطيع الفرد إنتاج العمل في الأسواق دون تمكنه من أداة لغوية معينة، هي لغة سوق العمل الذي يرغب العمل فيه، لتكون المعرفة القاصرة للفرد بلغة سوق العمل.

غير أن هذه الأداة اللغوية يشترط فيها توفر تبادل ونقل المعرفة والخبرة بين أفراد المجتمع ومؤسساته، وأن تكون لغة علمية وثقافية تتقنها القوى العاملة، وتحقق عمل مشترك وفعال في المكتب والمصنع والحقل ليؤدي إلى زيادة دخل الجميع، وذلك لا يكون إلا بانتشار هذه الثقافات بلغة الأم للوصول إلى ما يسمى بمجتمع المعلومات، الذي لا يمكن أن يكون بلغة أجنبية.

ومن ثم خُصص البحث إلى جملة من النتائج:

- 1- أن اللغة تأثير قوي على التنمية الاقتصادية، حيث تأتي قيمة اللغة من تداولها فإذا أهملت الدولة التداول بلغتها (مثلا التعليم بغير اللغة الوطنية) فإن لهذا آثار اقتصادية هائلة.
- 2- إن غنى اللغة المستعملة في كل قطاع اقتصادي تعتمد على نمو اللغة الوطنية.
- 3- إن عملية التنمية الاقتصادية لا تتم إلا بالتنمية البشرية المستدامة، وهذه تتحقق دون استثمار صحيح للإنسان، وخاصة معرفته، وهذا يفضي إلى لغته العلمية والتكنولوجية.
- 4- إن كل دولة يزداد فيها عدد اللغات المستعملة ينقص ناتجها القومي، ومن ثم ينقص دخل الفرد فيها.
- 5- إن بقاء اللغة مرهون بما يتداول فيها من إبداع وابتكار علمي وثقافي، وهذا كله يستدعي اختيار دعم الترجمة العلمية، والتقانية إلى اللغة الأم.
- 6- إن الجهود والاستثمارات الكبيرة التي تضعها الدول العربية للتوجه نحو مجتمع المعلومات لن تكون مجدية إذا لم يرافقها وجود المعرفة والمعلومات العلمية والتقانية باللغة العربية لكي تكون في متناول الفرد العربي.
- 7- إن الواقع الاقتصادي يفرض رؤية جديدة سياسية لغوية فاعلة تأخذ بعين الاعتبار المناحي الاقتصادية وتقرر دعم الترجمة العلمية وتعليم العلوم والتكنولوجيات باللغة الأم لتحقيق التقدم والرفي والاستقلالية.

الهوامش والمراجع:

- (1) . الخصائص؛ للإمام ابن جني ، تحقيق: محمد علي النجار، ط عالم الكتب، بيروت ، ج 1 ، ص 33 .
- (2) . فردينان دي سويسر ، علم اللغة العام ، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، آفاق عربية 1985 ، ص 27 .
- (3) . إبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، دار المعارف ، مصر، ص 11 .
- (4) . إبراهيم أنيس، المرجع نفسه، ص 21/20 .
- (5) . نجد التصريح بذلك في تعريف الإمام ابن جني في قوله: (يعبر)، وتوسع دي سويسر بقوله: (ممارسة هذه الملكة)، في حين ضيق ذلك الدكتور أنيس حينما وصفه بـ(الاتصال)؛ فالممارسة أعم من التعبير، والتعبير أوسع مفهوماً من الاتصال.
- (6) . محمود السعران ، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط، ص 13 .
- (7) . فرهاد محمد علي الأهدن ، التنمية الاقتصادية الشاملة من منظور اسلامي، دار التعاون ، مصر، دط، د س ، ص 69 .
- (8) . "economic development", Business Dictionary, Retrieved 14-02-2019. Edited
- (9) . هوشيار معروف، دراسات في التنمية الاقتصادية (استراتيجيات التصنيع والتحول الهيكلي)، جامعة البلقاء التطبيقية، دار الصفاء للنشر، ط 11 (2005)، ص 11.
- (10) . نعمة الله نجيب إبراهيم، أسس علم الاقتصاد، مؤسسات شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000، ص 499.
- (11) . ماهر الشريف، "التنمية الاقتصادية والاجتماعية"، الموسوعة العربية، اطلع عليه بتاريخ : 2019/01/14 . بتصرف.
- (12) . جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة الدكتور شوقي ضيف، دار الهلال ، ج 1، ص 31.
- (13) . محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرحه وعلق عليه محمد بمحة الأثري، ط 2، ج 1 ، ص 264 .
- (14) . فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت ، 200، دط، ص 96.
- (15) . فلوريان كولماس، المرجع السابق، ص 106.
- (16) . فلوريان كولماس ، المرجع السابق ، ص 54 / 55.
- (17) . زيتون محيا ، التجارة بالتعليم في الوطن العربي، الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 2013، ص 23 .
- (18) . فلوريان كولماس ، اللغة والاقتصاد ، ص 76.
- (19) . فلوريان كولماس، المرجع نفسه ، ص 81.
- (20) . فلوريان كولماس ، المرجع نفسه ، ص 82 .
- (21) . فلوريان كولماس : اللغة و الاقتصاد، ص 9.
- (22) . المرجع نفسه، ص 63 .
- (23) . عبد السلام مسدي ، العرب والانتحار اللغوي ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ، 2011، ص 22/21 .
- (24) . بوجمعة وعلي ، اللغة العربية والتنمية ، المسيرات والمعيقات، ص 75 .
- (25) . المرجع نفسه ، ص 76 .
- (26) . مسعود طاهر ، الترجمة وأثرها في تطور البحث العلمي في اليابان، مقال منشور، ص 1 .
- (27) . ينظر ، الديدواوي محمد ، الترجمة والتعريب، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب ، ص 6 .
- (28) . عبد المجيد عابد ، الترجمة والتنمية ، مقال [http //www.diwanalarab.com](http://www.diwanalarab.com)
- (29) . ينظر ، كينيث تشي أونو ، التنمية الاقتصادية في اليابان ، ترجمة ، خليل دروش ، دار الشروق، مصر ، ص 83 إلى 94 .
- (30) . محمود السمرة، تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب العلوم، ندوة تعريب التعليم التقني والجامعي ، المشاكل والأفاق، منها الاتحاد العربي للتعليم التقني ، تونس، 1982
- (31) . سلطان الشاوي، الأمين العام لاتحاد الجامعات، العربية ، الصعوبات التي تواجه تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين، عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، تونس 1983 .
- (32) . محمد مريني، تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية وأثره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وفي التوجه نحو الاقتصاد قائم علة المعرفة ، مقال، ص 16 .
- (33) . بوجمعة وعلي ، اللغة العربية والتنمية ، المسيرات والمعيقات، ص 72 .
- (34) . (اللغة والاقتصاد).. ندوة في (البيرق الأردني للدراسات والمعلومات) - صحيفة الرأي أطلع عليه يوم 2019/01/14 الساعة : 15:50 .
<http://alrai.com/article/568705.html>